أسس الحكم الشوري الموسع في الإسلام

الحلقة السادسة عشرة

3 - الطبيعة تَمْقتُ الفراغاتَ

كيف يمكننا تصور وهندسة "أمة أمم" فعّالة وقادرة على الحياة؟

يُمْكِنُ أنْ نعتبرَ هذه الأمة المظلة مكونة من خليط من الأمم المعنية المتعايشة فيما بينها، والمتساوقة من دون إكراه أو توفيقية إجبارية مع الأنموذج الإرشادي الإسلامي الكوني العام.

يظهر في الخريطةِ المُصاحبة، التوزيع العام للمسلمين.

واضحُ من الخريطة أن المسلمين يُشكّلونَ أغلبية ضمن المنطقة الملونة باللون الأخضر.

ولا شَكَّ، مِنْ وجهة نظر إستراتيجية محضة، أنَّ هذه المنطقةِ تُمثّلُ فراغاً سياسيا مهولاً يَحتاجُ أن يملأ في أقرب وقت ممكن.

وقد لاحظ الخبراء الإستراتيجيون للعمّ سام هذا الفراغ وحاولوا ملأه.

وكان حافزهم في ذلك، قرب نضوب النفط، وظهور قوى إقليمية جديدة محيطة بالمنطقة حال الصين، والهند، وروسيا تحاول إيجاد مكاناً لها على الساحة الدولية، ويحتاج اقتصادها إلى النفط الذي تزخر به هذه المنطقة.

ومن هنا جاءت الحرب على الإرهاب بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 في نيويورك التي مثلت حصان طروادة لشن الحرب على العراق من أجل ضرب عصفورين بحجر واحد:

أ) السيطرة على نفط العراق وهو صاحب مخزون هائل،
ب) قطع الطريق على هذه القوى الصاعدة المنافسة بالسيطرة على منابع الطاقة.

وقط خطط العم سام لهذه السياسة تحت يافطة: "الشرق الأوسط الكبير" .

قلت:

ومن منظور سياسي صرف، فالحرب على الإرهابِ، لم تكن سوى ذريعة وتكأة لبلوغ أهداف أبعد، خصوصاً وأن مفهوم الإرهاب المتبنى، ظل هلامي التعريف وغير محدد جغرافياً.
وأثبتت الوقائع اللاحقة أن هذه الحرب غير المحددة في الزمان والمكان تطلق يد العم سام في كل المنطقة إما:
أ) بدعوى محاربة الإرهابيين، أي كل من يقفون ضد السياسة الأمريكية ويناوئونها،
ب) دعوى حماية دول المنطقة من الأخطار المحيطة بهم من طرف جيرانهم.

وهي سياسة لا تستبطن مصالح المسلمين بالدرجة الأولى على المديين القصير أو البعيد.

ولو كانت الولايات المتحدة الأمريكية فعلت واستشارت دول المنطقة وأخذت في الاعتبار مصالحهم الآنية والمستقبلية، لكان توفر لها حظ أكبر للنجاح ولاعتبر المسلمون أن ملأ هذا الفراغ الجيوسياسي مسألة حياةِ أو موتِ بالنسبة لكل مسلمي المنطقة، ولسهل إقناعهم بالتالي بفعل ما

بإمكانهم لملمئه بأسرع ما يمكن، كي يَحولوا دون تكرار التاريخ من جديد، مادامت الطبيعة نفسها تَمْقتُ الفراغاتَ وتَمِيلَ إلى مَلْئها تلقائيا.

3.1) هندسة أمة أمم فعّالة

يتوقعُ المرء، بالأخذ في الحسبان بحاجاتَ ورغباتَ الأقلّياتِ العرقيةِ المتعددةِ، المتواجدة ضمن المنطقةِ "الخضراء " على الخريطةِ، أن يفوز المسلمون بالأغلبية في أيّ اقتراع حر.

وهو ما يخولهم أن يحكموا المنطقة.

وفي المقابل، فالمسلمون المتواجدون خارج هذه المنطقةِ المركزيةِ، سيكونون أقليات ضمن الأغلبيات المتواجدة.

والمنطق السياسي والأعراف الدولية يستلزمان أن تحظى الأقليات المسلمة في هذه الأوطان بذات الحقوق التي يخولها النظام الإسلامي لأقلياته، أي: المواطنة الكاملة، وحرية الاعتقاد، والمشاركة السياسية.

وعلاوة على ذلك، فبما أن وطن المسلم هو حيث يعيش ويشتغل، فبديهي أن يكون ولاء المسلم الأقلي هو لبلده، ولتضامن مع مواطنيه المحليين في دفع العدوان، وليس مع إخوانه في الاعتقاد خارج البلد، اللهم ما كان من رابطة التضامن التي تكفلها المواثيق الدولية متى حصل حيف بأقلية مسلمة ما.

لذلك لا يتصور في المطلق أن تكون الأقليات المسلمة طابور خامساً يعمل ضد وطنه، سواء أكان من المواطنين الأصليين المتحولين للإسلام أم من المهاجرين الوافدين على البلد.

فهم من هذه الناحية مواطنون تامون، لهم ما للمواطنين وعليهم ما عليهم، اللهم ما كان من اختلافهم في العقيدة.

وهو ما لا يفسد في دولة ديمقراطية، للود قضية، لسماح دستورها بمثل هذه التعددية في الاعتقاد.

أضف إلى ذلك أن المسلم حواري بطبعه لا يمتنع عن النقاش أو الجدل، وينفر أن يعيش في غيتو معزولا عن باقي مواطنيه اللهم مكرها.

فالمسلمون ليسوا قبيلة، ولا عرقا وإنما مواطنون بعقيدة مختلفة.

وبهذا لاعتبار، فلو صادف أن شنت دولة تنتسب للإسلام حرباً ظالمة ضدّ بلده، أو حاولت غزوها، فلا خيار لهُ سوى أن يحارب العدوان إلى جانب مواطنيه.

وفي حال حصول العكس، أي: أنْ دولته هي المعتدية على دولة إسلامية، أو بلاد أخرى، ونفسه تأبى عليه المشاركة في العدوان، فُيمْكِنُه دوما اللجوء إلى بند الضمير المعترف به في دساتير كُلّ البلدان المُتَحضّرة.

قلت:

ولا زال المرء يتذكر بشكل واضح في عز أيام الحربِ الفيتنامية، أن الكثير ممن وقفوا ضد الحرب اعتبرتهم الحكومات الأمريكية المتعاقبة معاديين لها!

ولعل أشهر مسلم أمريكي وقف ضد هذه الحرب هو بَطَل المُلاكَمَة الأمريكي: كاسيوس

كلاي، الذي اتخذ له اسم: محمد علي (صورة)

عندما أشهر إسلامه سنة 1964.

فـمحمد علي كَانَ أولاً ملاكماً عظيماً، وهذا ما جلب له الشهرة، ثم كان أيضاً بطل حركة حقوق مدنيةِ.

وقد استعملَ شهرتَه للدفاع عن القضايا الاجتماعية النبيلةِ.

وقد ألهمَ بموقفه الصلب من الحرب الملايينَ في كافة أنحاء العالم وأعطىَ للناسَ أملاً بأنهم متى ثبتوا وصبروا أمكنهم أن ينتصروا لأفكارهم ومبادئهم في آخر المطاف.

لقد انتصرت أفكاره بالرغم من كل المعوقات الهائلة التي صادفته.

فهو الخارج من الغيتو، والذي عانى من الميزين: العنصري والديني بالإضافة إلى المرض الذي سيلازمه باقي حياته.

فأمثال محمد علي، المتهمين ظلما بكونهم خونه وغير أمريكيين هم من أعطوا الثقة لشرائح كبيرة من المجتمع الأمريكي، على اختلاف أعراقه، كي يقفوا بثبات ويصمدوا ضد مشعلي فنائل الحرب.

وهو ما ساعد على إنهاء حرب فيتنام وإخراج أمريكا من النفق المظلم الذي حشرها فيه بعض سياسيها الحالمين بالأمجاد الإمبراطورية.

في التوليف بين النماذج الإرشادية الاجتماعية المختلفة

لا شك أن أقرب أنموذج إرشادي ل الأنموذج الإسلامي هو الأنموذج الإرشادي الغربي، بسبب الموروث المشترك بين الأنموذجين، والتأثيراتِ المتبادلةِ عبر التاريخ.

لذلك، يجدر بنا أن نبدأ بدراسة هذا الأنموذج المتطابق سياسياً مع مفهوم: "الديمقراطية".

ونَفْهمُ مِن "الديمقراطية" بالأساس معالجتها للشأن السياسي وحكم المدينةِ، والدولة، خلال تطورها التاريخي، وتأثيرها على مواطنيها خاصةِ، بغية تحديد تموقع الأمة الديمقراطية بالنسبة لأمة الأمم الشورية.

فأمة الأمم الشورية تؤسس قواعدها الأخلاقية على المبادئ والمسلمات القرآنية، مادامت "الأخلاق" وكما قررنا من قبل تستعص على التنظير في غياب المطلق.

ومن هنا فمسألة بناء أمة أمم شورية، والتي يمكن أن تكون صغيرة (على مستوى قرية متعددة الأصول) أو كبيرة (على مستوى المدينة، أو الدولة، أو مجموعة قطرية، أو تمتد لتشمل البشرية قاطبة)، ستختزل إلى مهمّةِ بسيطةِ، وهي: إزالة التناقضات، التي يُمْكِنُ أنْ توجد بين الأنموذجين الإرشاديين المراد التوفيق والتوليف بينهما.

قلت:

ومتى تم لنا هندسة أنموذج اجتماعي مخضرم من هذا القبيل، فلن يتعذر علينا إعادة الكرة مع أنموذج ثالث، لتوليفه مع هذا الأنموذج المخضرم، وهكذا دواليك، إلى أن نستنفذ كل النماذج الإرشادية المراد التوليف والتوفيق بينها.

قلت:

وننجز هذه التوليفة المجتمعية باعتبار الأنموذج الإرشادي الإجتماعي الحضاري الجديدِ كدرجة إضافية مِنْ الحريةِ، تأخذُ في الحسبان كُلّ خصائصه المتعذرة الاختزال، مقارنة مع البُعدين الذين عالجناهما من قبل وولفنا بينهما.

وسيكون هذا النظام الاجتماعي الحضاري العالمي شفّافاً بالنسبة لكل مواطنيه الأصليين ولكل إنسان، من خلال البندِ الأول المؤسس للإنسان الفطري الكوني.

وتنجز هذه الشفافيةِ بشكل قانوني وعلى الأرض تلقائيا.

وهو ما يُزوّدُ كُلّ المواطنون بنفس الفرص والحقوق والواجبات والامتيازات، ويُخضعونَهم لنفس المتطلباتِ الإلزاميةِ نحو نظامٍ مجتمعي، هو من صنعهم، ويمكنهم تعديله لجَعْله أفضل، بحسب الحاجة والضرورة.

انتهى وتليه الحلقة 17

الديمقراطية الأثينية منظوراً إليها من خلال العدسةِ التفسيريةِ الأخلاقية الإسلامية.